

ثورات البربر بالمغرب الإسلامي من الفتح إلى قيام الإمارات المذهبية 140-21هـ (ردة أم تمرّد؟)

~~~~~  
أ. مصطفى باديس أوكيل \*

يعتبر البحث في تاريخ المغرب الإسلامي - في نشأته - من أهم وأصعب مواضيع البحث في التاريخ الإسلامي العام، لما عرفه من اضطرابات وثورات وحملات عسكرية صبغت أحواله العامة في القرن الأول وحتى الثاني للهجرة.

وقد يبدو منذ الوهلة الأولى أن هذا أمر طبيعي في تاريخ البشرية، وهو الذي يتولد مع أي احتكاك أو اتصال بين جنسين أو بين ديانتين أو حتى حضارتين، وهو الذي وجدناه في ما بين السكان الأوائل للمغرب وهم البربر<sup>(1)</sup> والفاطحيين العرب عن طريق الفتوحات الإسلامية في القرن الأول للهجرة (السابع الميلادي)، والتي كانت حركة عظيمة الأثر في تاريخ إفريقية<sup>(2)</sup> والأندلس<sup>(3)</sup>.

من هنا وجد المؤرخون والباحثون في تاريخ المغرب الإسلامي في القرن الأول للهجرة مادة خصبة في دراساتهم وبحوثهم واستنتاجاتهم المختلفة، باختلاف مشاربهم ومذاهبهم ومناهجهم، وانحصرت هذه الدراسات تقريبا في مدرستين كبيرتين هما المدرسة الإسلامية، والمدرسة المسيحية "الاستشراقية" واللذان تعرفان بعضهما البعض.

من هنا سأحاول في هذه المقالة المتواضعة، حصر الموضوع في دراسة مقارنة بين المدرستين ونظرتهم لثورات البربر في بلاد المغرب، وموقف البربر الذي كان يدين بعضهم بالولاء للبيزنطيين، وموقفهم بعد أن دخل عليهم الإسلام، وهل كان باستطاعة الجماعة الإسلامية العربية أن تتزل في نفوس البربر متزلا أقوى وأوثق من الذي كان قد نزله البيزنطيون من قبل؟ وكيف أسلم بعضهم (أي البربر) وبقي الآخر على غير إسلامه؟ وكيف ارتد فريق آخر عن

\* - أستاذ مساعد أ في تاريخ المغرب الإسلامي - قسم التاريخ - جامعة البويرة.

الإسلام بعدما أسلم من قبل؟ وإلى أي مدى وفي أي اتجاه قاوم بعض البربر المسلمين؟ وهل تلك المقاومة كانت ضد الإسلام كدين أم ضد من مثلوا الإسلام بالمغرب؟.

لقد حفلت سنوات الفتح الأولى بألوان من أحداث يصعب أن يلفها إطار واحد، دون أن تلتوي أطرافه أو تنكسر أو تتداخل، وشواهد ذلك كله حركة الفتح الإسلامي، وهذه الصعوبة جعلت المؤرخ "عبد الله العروي" يذكر أنه لا نكاد نعرف وقائع الفتح العربي إلا من خلال نصوص عربية متأخرة وفي بعض الأحيان متضاربة لذلك ما زالت تحوم حول تفاصيلها شكوك كثيرة، وما تجمع عليه النصوص المذكورة هو أن الفتح تطلب زمنا طويلا<sup>(4)</sup> لكن ليس دون صراع مرير في البلاد، ورغم هذا لم يقع إدماج على المستوى السياسي دفعة واحدة، لكنه وقع على المستوى الأكثر عمقا وهو المستوى الحضاري، من هنا دعت بلاد البربر إلى تحمل وتحول كبيرين في بعض الأحيان وأليم، لتدخل بذلك نهائيا في مدار الثقافة العربية الإسلامية<sup>(5)</sup> وهذا الاندماج العربي البربري أثار حفيظة كثير من المستشرقين ممن يدعون زورا بالمؤرخين الموضوعيين، إلى القول - بسوء حظ المغرب - أي أنه كان من سوء حظه أنه لم يدرك أن الغزو الروماني كان ذا طابع حضاري، وأنه اعتنق الإسلام، وأنه كان ضحية لهجمة بني هلال، وأنه كان قاعدة القرصنة<sup>(6)</sup>.

كما ادعى هؤلاء المستشرقين أن البربر أخضعوا لمبادئ الإسلام بالقهر والإرغام، ومنه خاض العرب بحار دم وقسوة، لأنهم كانوا يحملون بإحدى أيديهم القرآن، والسيف باليد الأخرى، وفي الحقيقة هي مفاهيم مغلوطة، وطعون واضحة الأهداف منها تشويه محاسن الإسلام ومحاولة التنفير منه.

من هنا نسعى إلى رد السهام، وتبيين الحقائق ونحاول الإجابة عن أكبر إشكالية طرحناها في بداية الموضوع أي عن حقيقة هذه الثورات، فهل كانت ثورات ردة أي خروج عن الإسلام ومحاربه، ومن ثمة محاربة العرب الحاملين للرسالة، وبالتالي تكون النتيجة التي أراد أن يصل إليها هؤلاء المستشرقون، وهي رفض البربر للدين الإسلامي؟ أم أنها ثورات تمرد ضد الحكام أو ضد الولاة (العمال) أو ضد السياسات؟ بمعنى أنها ثورات بربرية ضد الأشخاص الذين مثلوا الخلفاء بالمغرب وضد تلك الانحرافات؟ وضد التمييز وسوء تسير الأقاليم البربرية من قبل العرب؟.

الإجابة عن هذه الإشكالية تكون من خلال التطرق إلى أهم الثورات البربرية في المغرب خلال القرن الأول ومنتصف الثاني للهجرة إلى غاية استقلال بعض الأقاليم وقيام دويلات

مستقلة وشبه مستقلة عن الخلافة، ومن ثم دخول التيارات المذهبية، وهو ما دفع الطبري إلى القول: "فما زال- بوبر إفريقيا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك...؛ فلما دبّ إليهم دعاة العراق واستشاروهم شقوا عصاهم، وفرقوا بينهم إلى اليوم".

كما نقل ابن خلدون عن ابن أبي زيد" أن البربر ارتدوا بإفريقية اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة، وزحفوا في كلها على المسلمين ولم يشب إسلامهم إلا في أيام موسى بن نصير، ولما جاز إلى الأندلس أخذ معه بعضا من رجالهم ليجاهدوا معه، واستقروا هناك، فاستقر الإسلام بالمغرب وأدعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة، ثم سرت فيهم دعوة الخارجية ممن قدموا من العراق ووجدت من عامتهم صفاء فاعتنقوها وتعددت طوائفهم فيها وتشبعت طرقها إلى أن رسخت فيهم"<sup>(7)</sup>.

إن الدارس لتاريخ المغرب الإسلامي في القرن الأول والثاني للهجرة تتضح له حقيقة تاريخية هامة، وهي أن الثورات البربرية يمكن تقسيمها إلى قسمين أو إلى مرحلتين زمنييتين مختلفتين تمام الاختلاف.

الأولى هي الثورات البربرية في القرن الأول الهجري، والتي كانت منعزلة عن أي تيار مذهبي رغم اختلاف دوافعها وأهدافها.

والثانية هي التي كانت في القرن الثاني للهجرة، والتي أشار إليها كل من الطبري وابن خلدون بالثورات الخارجية، أو الثورات البربرية التي لبست عباءة المذاهب الخارجية.

أما عن المرحلة الأولى والتي استغرق فيها العرب ستا وعشرين سنة لم يتمكنوا من الاستقرار من خلالها ببلاد إفريقية إلى نهاية ولاية معاوية بن حديج حوالي سنة 48هـ، وفيها كان العرب يكتفون بعقد الصلح والأمان مع الروم وهذا بعد دفع الجزية أو الغرامة الحربية ثم الرجوع بعدها إلى مصر<sup>(8)</sup> (الفسطاط) لأنه حتى تلك اللحظة لم تكن هناك قاعدة يأوي إليها العرب المسلمون، كما أن غالبية البربر إلى حد تلك المرحلة ما زالوا يعتبرون العرب غزاة تستوجب ملاحقتهم وطردهم عن البلاد، والعرب يعلمون هذا منهم لذلك ما كانوا يأمنون على أنفسهم من غدرهم، إلى جانب نكث الروم العهود والمواثيق فكانوا كلما ارتحل العرب عنهم منعوا ما كانوا يؤدونه، وارتد من أسلم منهم<sup>(9)</sup>، ويؤكد ذلك ابن عذاري حيث يذكر أنه في سنة 33هـ، كانت غزوة عبد الله بن أبي سرح إلى إفريقية مرة ثانية، حين نقض أهلها العهد<sup>(10)</sup>.

والحقيقة التي لا مناص عنها أن المسلمين ما غزوا إفريقيا لأجل المال ولأجل استعباد الناس، لأن من جهة فإن الله فتح عليهم الشام والعراق ومصر قبل فتح إفريقيا وفي هذه الأقطار رخاء ومنابع ثروة لا حصر لها، ومن جهة ثانية فإن الدين الإسلامي كان الدين الخارب للعبودية ورسالته كانت نشر الإسلام والعدالة والمساواة بين الناس، ثم إن هناك فكرة مهمة تجب الإشارة إليها وهي أن العرب ومنذ دخولهم أرض المغرب توغلوا في دواخله ما ولد نوع من ردة الفعل الأولية من قبل البربر خاصة البربر البتر أو "البدو" والمعروفين بالثورات وحتى الإغارة على إخوانهم البربر "البرانس" منذ العصور القديمة، وخاصة إذا علمنا، أنه وباعتراف الغربيين أن لا الإغريق ولا الرومان ولا حتى البيزنطيين لم يعرفوا من المغرب إلا السواحل مع بعض الامتدادات البسيطة<sup>(11)</sup>.

رغم هذا فإن حملة عبد الله بن سعد بن أبي سرح قد فتحت المجال لبناء أول مؤسسة ثقافية وفي أول حملة إسلامية لم تتعد مدينة صيراته<sup>(12)</sup> سنة 21هـ وهي مسجدان أحدهما بطرابلس عند باب هواره والآخر في مدينة جتور<sup>(13)</sup> وهما أول مسجدين بناهما المسلمون في المغرب<sup>(14)</sup> وهذا الانجاز الحضاري من أوائل الأدلة على رسالة الإسلام السمحاء وفي هذه الظروف الصعبة وفي هذه الاحتكاكات الأولية مع البربر.

ولتواصل بعدها حملات الفتح في عهد "معاوية بن حديج السكوني" إذ يذكر الدكتور عبد العزيز سالم أن المغرب شهد في هذه الفترة حالة من الفوضى والاضطرابات بعد إقدام الإمبراطور البيزنطي "كنستانز الثاني" بطلب إلى البربر لتقديم ثلاثة مائة قنطار من الذهب على نحو ما قدمه البربر للعرب بعد أن عقدوا صلحا معهم، فرفضوا طلب الإمبراطور وثاروا على واليه بإفريقية "أوليمة" ثم طردوه عن بلادهم<sup>(15)</sup> وهذا أكبر دليل على رفض البربر للتواجد البيزنطي من جهة، ومن جهة ثانية، تقبلهم لدفع الجزية للمسلمين كمرحلة أولى، ريثما يحتك ويتعايش أكثر البربر مع العرب الذين رأوا فيهم المنفذ لهم مما كانوا يلاقونه من نير الروم.

لتكون بعدها ولاية عقبة بن نافع الفهري<sup>(16)</sup> على إفريقية والمغرب التي دخلها في عشرة آلاف من المسلمين وقال مقولته المشهورة "أن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها، رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر فأرى لكم، يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر" فاتفق الناس على ذلك وإن يكون أهلها مرابطين<sup>(17)</sup> من هنا أنشأت مدينة القيروان<sup>(18)</sup> التي ستصبح عاصمة المغرب الإسلامي على مر

العصور، ومن نتائج هذا البناء حسب الدكتور لقبال أن أقبل كثير من الأمازيغ على اعتناق الإسلام وجاوروا القاعدة الجديدة واطمأنت لهم نفوس المسلمين وقويت روحهم المعنوية كما اتسعت مناطق نفوذهم، وبدأوا يحتكون بالعرب وزالت عزلتهم وذهب الخطر والخوف والشك<sup>(19)</sup>، لكن مهمة عقبة بن نافع لم تكتمل إذ عزل عن الولاية، وعين بدله أبو المهاجر دينار وهو من موالي والي مصر مسلمة بن مخلد.

لقد حارب أبو المهاجر الروم والبربر وأسلم على يديه "كسيلة بن لزم الأوري" البربري وهو من أكبر رؤساء البربر إذ ذاك، وقد أحن إليه أبو المهاجر واستبقاه، خاصة أن الزعامة بالمغربيين الأوسط والأقصى كانت لقبيلته أوربة<sup>(20)</sup> وبفضل مؤازرته استطاع أبو المهاجر من الاستيلاء على تلمسان والقضاء على الحلف الرومي البربري.

أما في سنة 62هـ فكانت ولاية عقبة بن نافع الثانية والتي زحف فيها بجيوش نحو الغرب وقاتل الروم والبربر على حد سواء وهو في هذا التصرف ينتقم من أبي المهاجر وحليفه كسيلة، ووصل إلى سواحل جنوب المغرب الأقصى حيث هزم البربر وطاردهم إلى "درعة" كما هزم أيضا بربر السوس الأدنى (بلاد المصامدة) واتجه إلى السوس الأقصى فاجتمع البربر هناك فقتلهم قتالا لم يسمع أهل المغرب بمثله<sup>(21)</sup>.

والحقيقة التي لا مفر عنها وباعتراف جل المؤرخين فإن عقبة أساء التصرف في فتوحاته الثانية (62-63هـ) رغم نصح أبي المهاجر له، وخاصة أن قبيلة أوربة البرنسية حديثة عهد بالإسلام، فأبى عقبة أن ينتصح وواصل سيره حتى قيل انه تطايرت فلول البربر والأفارقة بعد أن توالى عليهم الهزائم وكثر فيهم القتل على أيدي المسلمين وقد كانت أمم المغرب من نصارى وبربر لا يحصون كثرة وانتشارا، ولا يكثرئون بالرمل والحصى، كما أوغل بالقتل والأسر أمة بعد أمة وطائفة بعد طائفة بائعا نفسه من مولاه لا تروحه كثرة، ولا تعتريه هو ومن معه سامة ولا كثرة حتى صار بأحواز طنجة<sup>(22)</sup>.

لكن رحلة العودة كانت مأسوية بالنسبة لعقبة بن نافع، حيث أنقلب كسيلة على العرب وحالف الروم بعد ان اهانه عقبة وحارب قبيلته، ويذكر ابن عبد الحكيم في قوله: "زحف ابن الكاهنة (لعله يقصد كسيلة) إلى القيروان يريد عمر بن علي وزهير بن قيس فقاتلاه قتلا شديدا فهزم ابن الكاهنة"<sup>(23)</sup>؛ فأذن عقبة لمعظم رجاله بالانصراف إلى القيروان وواصل السير إلى أن

وصل إلى "قودة" <sup>(24)</sup>، والتي اجتمع بها الروم والبربر ينتظرون وصول عقبة الذي أيقن أنها النهاية لا محالة <sup>(25)</sup>.

ودارت المعركة التي سميت "بوقعة قودة" نهاية سنة 63هـ، وانتهت باستشهاد عقبة وزهير وعدد كبير من المسلمين، مع أسر عدد آخر، ومنها زحف كسيلة إلى القيروان واحتلها بعد فرار المسلمين منها، والذين لم تكن لهم طاقة للقتال بعد تلك الفاجعة من جهة ولعظم الجيش البربري والرومي الزاحف من جهة أخرى.

ويعلق الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنه لم يبق بالقيروان إلى الشيوخ الهرم والنساء والأطفال وكل مثقل بالأولاد فأرسلوا إلى كسيلة يسألونه الأمان فأجابهم إلى ذلك ودخل القيروان في محرم سنة 64هـ <sup>(26)</sup>.

نعتقد أن الأمان الذي أعطاه كسيلة هو نوع من الرضا بالإسلام ولكن الثورة كانت ضد عقبة وأصحابه الذين أساءوا التصرف مع البربر.

وهو ما ذهب إليه الدكتور موسى لقبال الذي ذكر: أنه لم تسجل النصوص على لسان كسيلة أية أراء معادية للعرب أو للإسلام مما يبعد عنه تهمة الردة الدينية التي خلط المؤرخون بينها وبين ثورته السياسية ضد العرب وقد عرف للقيروان قدسيته في نظر المسلمين، فاحتفظ بها قاعدة للمغرب وحكم منها الأطراف، ولم يمس الآثار الإسلامية فيها وتمتع المسلمون تحت رعايته بالسلام والطمأنينة، ولو كان للرجل نوايا سيئة ولو صح أنه ارتد لانتقم من بقايا المسلمين ولا عفا على القيروان وأثارها <sup>(27)</sup>.

كانت نهاية كسيلة على يد خليفة عقبة وهو "زهير بن قيس البلوي" <sup>(28)</sup> الذي نزل بجيش في ظهر القيروان بقرية "قرشانة" وأقام بها ثلاثة أيام، وفي اليوم الموالي زحفت جيوشه متجهة نحو قرية تدعى "مس" <sup>(29)</sup> واشتبك الجيشان وانتهت المعركة بهزيمة كسيلة ومصرعه سنة 64هـ.

أما الثورة التي تلت ثورة كسيلة فقد كانت في ولاية حسان بن النعمان الغساني الذي قدم إفريقية سنة 78هـ <sup>(30)</sup> وكانت مهمته الأساسية مواصلة الفتح الإسلامي وخاصة بالمغرب الأوسط، ومنها تأهب لمواجهة البربر البتر الذين اجتمعوا حول زعيمة لهم تعرف "بالكاهنة" <sup>(31)</sup> وذكر ابن عذاري أنهم قالوا لحسان "إن جميع من بإفريقية منها خائفون وجميع البربر لها مطيعون فإن قتلها دان لك المغرب كله ولم يبق لك مضاد ولا معاند" فدخل بجيوشه إليها <sup>(32)</sup>.

وقد كان لحسان ضد الكاهنة مواجهتين الأولى على أغلب الظن سنة 74هـ بوادي مسكيانة على فمر تسمية المراجع "نبي" وهو يصب في البحر الأبيض المتوسط<sup>(33)</sup>، والتقى الجيشان فتقاتلوا على ذكر ابن عذارى قتلا لم يسمع بمثله وصبر الفريقان صبرا لم ينته أحد إليه إلى أن انهزم حسان بن النعمان ومن معه<sup>(34)</sup> وأسرت الكاهنة ثمانين رجلا لنجدها فيما بعد تطلق سراح تسع وسبعين وتمسك واحدا يسمى "خالد بن يزيد" الذي آخت بينه وبين ولديها عن طريق "الرضاع الرمزي"<sup>(35)</sup>، كما لجأت بعدها إلى ما يعرف حديثا بسياسة- الأرض المحروقة- بأن قضت على مظاهر العمران والزراعة بإفريقية اعتقادا منها أن العرب يسعون وراء العمران والخيرات، وهذا ما أكدته ابن عذارى وابن الأثير وابن خلدون<sup>(36)</sup> لكن في حقيقة الأمر أن هذا الأمر ألب عليها حتى أنصارها ففروا من معسكرها لاجئين إلى حسان بن النعمان.

أما عن نهاية الكاهنة فكانت على أرجح الأقوال بين سنتي 79 و81هـ عند مكان يعرف ببئر الكاهنة بجبل أوراس<sup>(37)</sup> بعد أن رجع حسان بجيش وبخطة جديدة لمواجهة لها.

لكن قبل وفاة الكاهنة فإنها كانت قد أوصت "خالد بن يزيد" بأن يصطحب ولديها ويستأنم لهما عند حسان وقالت "اركبوا واستأنموا إليه"<sup>(38)</sup>، وأخبرتهما (أي ابنتهما) بما سيظفرون به من عز ورياسة في قومها بفضل سعة أفق حسان، وهو ما كان بالفعل لما عقد حسان لهما (لولديها) أو لكل واحد منها ستة آلاف فارس، وأخرجهما مع العرب يجاهدان في سبيل إعلاء كلمة الله<sup>(39)</sup>.

يلقى الدكتور لقبال عن موقف الكاهنة ويعتبره متناقضا<sup>(40)</sup> من جهة لكنه من جهة ثانية قد ينبئ بما ذهب إليه بعض المؤرخين حين ذكروا أن الكاهنة قد تكون اقتنعت بالإسلام، لكن بما أنها كانت زعيمة قوم فإنها أثرت القتال والدليل على هذا القول هو دفعها لابنتها لاعتناق الإسلام والدخول في جيش حسان.

من هنا تتفق ثورة الكاهنة مع ثورة كسيلة في كثير من النقاط.

كما تواصلت الثورات البربرية بعد الكاهنة، لكن هذه المرة نتحدث عن الثورات التي كانت في ما يعرف بعصر الولاة، أين دخل المغرب الإسلامي مرحلة جديدة امتازت بدايتها بوثام بين الفاتحين العرب والبربر المسلمين الذين اقبلوا في شغف على تعلم الدين كما انضموا إلى الجيش الإسلامي خاصة في عهد الخليفة الأموي العادل "عمر بن عبد العزيز" الذي أقر سياسة اللين والتسامح والمساواة، لكن بعد وفاته وتولية ابن عمه "يزيد بن عبد الملك" عادت

سياسة الجور والاضطهاد، خاصة لما عين على إفريقية واليا جديدا هو "يزيد بن أبي مسلم" وهو مولى "الحجاج بن يوسف الثقفي" فطبق في البربر نفس سياسة الحجاج في أهل العراق، وكان قدومه إلى المغرب سنة 102هـ<sup>(41)</sup>، فقد استبد بالبربر شر الاستبداد وفرض عليهم الجزية رغم إسلامهم، كما أهدر كبرياءهم وحط من شأنهم، خاصة لما عاملهم مثل ما يعامل الروم العبيد، بأن يوشم في يمين الرجل "اسمه" وفي يساره "حرسى" ليعرف بذلك من بين سائر الناس، فكان على ذكر ابن عذاري "ظلوما غشوما"<sup>(42)</sup> فاتفق نفر من حرسه البربري على قتله وقالوا "جعلنا بمنزلة النصارى" فقتلوه، وهو بالمسجد.

قد نفهم من قول ابن عذاري وهو مؤرخ المغرب والكاتب الثقة، عن يزيد- وكان ظلوما غشوما- حكما صادقا على هذا الوالي الذي خرج عن الحكم الشرعي وأراد تخميس البربر المسلمين، فكانت نهايته القتل، لكن بالمقابل تعيين وال جديد من العرب وهو "محمد بن أوس الأنصاري"، وكان قائد الأسطول بصقلية هذا أكبر دليل على أنها ثورة تمرد أو لنقل ثورة تصحيح ولم تكن أبدا ردة عن الإسلام،

ما جعل الدكتور هشام جعيط يذكر أن هذه الثورات البربرية كانت بكل بساطة تطرد الوالي من عاصمته وتخلف مكانه سلطة جديدة<sup>(43)</sup> كما عرف المغرب الإسلامي ثورات بربرية أكثر عنفا وتنظيما خاصة في ولاية عبيد الله بن الحبحاب<sup>(44)</sup> والتي لخص ابن خلدون أسباب ثورة البربر ضده حيث قال: "استعمل ابن الحبحاب عمر بن عبد الله المرادي على طنجة وابنه إسماعيل على السوس وما وراءه واتصل أمر ولايتهم وساءت سيرتهم في البربر ونقموا عليهم أحوالهم وما كانوا يطالبونهم به من الوصائف البربريات" (الجميلات)، والأفريقية العسلية الألوان وأنواع طرف المغرب فكانوا يتغالبون في جمعهم ذلك وانتحاله، حتى كانت الصرمة من الغنم تملك بالذبح لاتخاذ الجلود العسلية من سخاها، ولا يوجد فيها مع ذلك إلا الواحد وما يقرب منه، فكثير عبثهم بذلك في أموال البربر وجورهم عليهم"<sup>(45)</sup>، حيث يتضح من قول ابن خلدون السياسة السلية التي سار عليها ابن الحبحاب خاصة انه كان قيسيا بالولاء وهي المرحلة التي طغت فيها العصبية القبلية بالمغرب، خاصة بعدما صدرت عن كل تصرفاته عقلية عربية صرخة لا تنظر إلا إلى العرب ومصالحهم وتهمل إهمالا تاما مصالح أهل البلاد، بل أكثر من ذلك تؤذي أحاسيسهم، خاصة واليه على السوس عمر بن عبد الله المرادي الذي حرم

البربر من نصيبهم في الغنيمة وقال "أن ذلك اخلص لإيمانكم" وإذا كان غزو قدم البربر وأخر جنده<sup>(46)</sup>.

وعلى قول ابن عذاري "ذلك مال لم يرتكبه عامل قبله" وأدى هذا التصرف إلى ثورة في البلاد وقتل وفتن وظلم، فخرج البربر على ابن الحبحاب بطنجة وإقليمها، وقاد هذه الثورة التي كانت سنة 122هـ رجل بربري يدعى "ميسرة المدغري"؛ فخرج على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة فقتله، كما زحف البربر على إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب في السوس فقتلوه<sup>(47)</sup> وعلى اثر ذلك قام البربر بطرد العرب "البلديين"<sup>(48)</sup> من معظم البلاد خاصة أن العرب انقسمت إلى عصبتين يمنية وقيسية، وهذا الانقسام مع سوء الأحوال المغربية استثمر فيه وانتهزه دعاة الفكر الخارجي حيث دخل الخوارج بلاد المغرب رغم أن الأستاذ الزاوي يذكر أن: "بدعة الخوارج تسربت إلى إفريقية في زمن غير معين، ويظهر حسبه دائما أنه كان في أواخر المائة الأولى من الهجرة وأوائل الثانية منها"<sup>(49)</sup>.

حيث أخذوا يثنون تعاليمهم بين البربر الذين قبلوها خاصة أنها أي هذه "التعاليم" تنادي إلى المساواة بين العرب والبربر، من هنا كان حلف خارجي بربري ضد ولاة بني أمية، لكن الدكتور عبد العزيز سالم يعقب ويذكر أن البربر اختلفوا في مدى تقبلهم لهذه التعاليم، فإذا كان بربر القسم الشمالي من المغرب الأقصى والمغرب الأوسط قد اعتنقوا المذهب الإباضي، فإن إخوانهم في القسم الجنوبي من المغرب الأقصى اعتنقوا المذهب الصفري، كما يذكر أن البربر المعتدلين دعوا للثورة على الظلم لكن بالمقابل فإن المتطرفين من البربر دعوا إلى كيان ونظام حكم بربري دينه الإسلام أو كما قال: "اسلام متبربر"، وهذا الذي كان في قبيلة برغواطة<sup>(50)</sup>.

لقد كان ميسرة صفريا من غلاة الخوارج، وتزامنت ثورته مع ثورات خارجية أخرى في الحجاز واليمن والعراق، ولكن يبدو أنها تصادفت الحوادث التاريخية مشرقا ومغربا، ورغم انتصار الثورة البربرية في المغرب وبخاصة بطنجة، إلا أن البربر كعادتهم انغمسوا على غرار الخوارج في الجدل والخصام، فقتلوا ميسرة وعينوا بدله "خالد بن حميد الزناتي" الذي واجه الجيش العربي (القيرواني) على ضفاف وادي شلف، وكانت نتيجة المعركة هزيمة قاسية للجيش الأموي وهي المعركة المعروفة "بوقعة الأشراف"<sup>(51)</sup>.

يعلق الدكتور العروي على هذه الثورات البربرية تعليقا نراه ذا أهمية بالغة، حين يذكر "أننا لا نجد ثورة واحدة بين جميع الثورات المتعددة، قامت باسم العقيدة المسيحية، ويتساءل أليس هذا دليلا على سطحية تنصر البربر في العهد الروماني؟" (52)، ونراه أكبر ردا على هؤلاء المستشرقين الذين يتحدثون عن الثورات البربرية وكأنها ضد الدين الإسلامي.

أخبار هزيمة الأشراف دفعت بالخليفة الأموي "هشام بن عبد الملك" إلى عزل ابن الحبحاب وتعيين وال جديد على المغرب وهو "كلثوم بن عياض القشيري"، وأمدّه بجيش قوامه ثلاثون ألف، لكنه قابل أهل القيروان (البلديين) بالجفاء والتكبر (53)، وقال لهم: "لا تغلقوا أبوابكم حتى يعرف أهل الشام منازلكم" (54)، لكن الجيش الأموي كان من القيسية في حين كان عرب إفريقية وحلفائهم من الأندلس يمينيين، وكما كانت بين الفريقين أحقاد وحزازات تعود إلى فترات سابقة، حالت دون توحيد الجهود في مواجهة الخطر الواحد وهو الثورة البربرية، أضف إلى ذلك ضعف الخطط العسكرية لكلثوم أدت في نهاية المطاف إلى هزيمة العرب ومقتل القائد كلثوم.

حتى ذكروا أن البربر قتلوا ثلث الجيش واسروا ثلثه الثاني وطاردوا الثلث المنهزم، وهي المعركة التي عرفت في كتب التاريخ "معركة بقدورة" على وادي سيبو سنة 123هـ (55).

هذه الخيانة العربية جعلت المؤرخ المغربي عبد الله العروي يذكر أن العرب الذين أتوا إلى المغرب لم يكونوا كلهم يعطفون على بني أمية بل كانوا في الغالب كاللقهفاء ناعمين عليهم كما كان عدد كبير منهم يعتقد مذهب الخوارج، و يذكر أن الأمويين جعلوا منا الأنفة والحمية العربية عماد حكمهم، وكانت هذه من بين أسباب هزيمة العرب، ونجده يخرج بتساؤل عن أسباب ثورة البربر؟ ويقول انه يجب أن نميز بين البواعث العميقة والأسباب التي دعت إلى ترديد مقالات الخوارج فهي من جهة مرتبطة بأحداث الشرق ومن جهة ثانية معقودة بأوضاع وخصوصية المجتمع البربري، وهي في النهاية حتميات داخلية وجوهرية وأخرى عرضية خارجية (56).

لقد كان لوقع هزيمة الأشراف وبقدورة أثر عميق في دمشق وعلى الخليفة هشام بن عبد الملك الذي وجه عامله على مصر "حنظلة بن صفوان الكلبي" إلى إفريقية فدخل القيروان سنة 124هـ (57)، وزحف عليه الصفرية من البربر في جيشين احدهما بقيادة "عكاشة بن أيوب الفزاري والثاني بقيادة "عبد الواحد بن يزيد الهواري" واتفق الرجلان على مهاجمة القيروان من

جهتين مختلفتين ورأى حنظلة أن يواجه عكاشة قبل أن يجتمع إليه عبد الواحد فرحف والتقى به بمكان يدعى "القرن" وكان بينهم قتال شديد، فهزم الله عكاشة ومن معه وقتل من البربر ما لا يحصى كثرة<sup>(58)</sup>، ثم رجع حنظلة إلى القيروان قبل أن يدخلها عبد الواحد والتقى به على بعد ثلاثة أميال من القيروان بمكان يقال له: "الأصنام" فانتصر العرب وقتل عبد الواحد وذكروا أن عدد قتلى البربر وصل إلى مائة ألف قتيل، وهول هذه المعركة كان الليث بن سعد يقول: "ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إلي من غزوة القرن والأصنام"<sup>(60)</sup> وكان هذا سنة 125هـ.

وذكر الدكتور حسين مؤنس أن هاتين المعركتين قد أنقذتا مصر السنة والجماعة في إفريقية والمغرب فثبتت أقدامها في إفريقية والزاب، وانحاشت مبادئ الإباضية والصفيرية في مناطق محدودة كما ذكر أن المغرب الإسلامي ظلّ كله للعرب البلديين والبربر، ويضيف أنه جدير بالذكر القول أن البربر الذين اشتركوا في الأحداث كان معظمهم من القبائل الزناتية البدو، أما القبائل الصنهاجية وهم عمود السكان في المغرب فلم يمتد إليهم هيب الفتى على نطاق واسع<sup>(61)</sup>، ونفهم من هذا القول أن غالبية السكان البربر لم يثوروا ضد العرب، بينما البربر البتر فقد اعتادوا الخروج والثورة حتى قبل الإسلام.

وفي النهاية نقول أن هذه الثورات أي بقدرة والأشراف والقرن والأصنام لم تكن إطلاقاً ضد الدين، بل كانت ثورات ضد سياسة الولاة المتعسفة.

الثورات الإباضية بالمغرب: قبل الحديث عن الثورات الإباضية لا بد من الرجوع إلى أصول هذه الفرقة التي تنتسب إلى مؤسسها "عبد الله بن أباض"، ونورد ما قاله عنه الإمام الشهرستاني في أنه "خرج في أيام مروان بن محمد فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بنبالة، وقيل إن عبد الله بن يحيى الإباضي كان رفيقاً له في جميع أحواله وأقواله، وقال إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكرع عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال وإقامة الحجّة، وقالوا إن دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم، وقالوا في مرتكب الكبائر إنهم موحدون لا مشركون"<sup>(62)</sup>.

لقد اختلف المؤرخون المسلمون اختلافا كبيرا في أصل الإباضية وزمن نشوئها، ويتضح هذا الاختلاف في تعدد الروايات لكن الذي يهمنا في موضوعنا هذا هو دخول الإباضية للمغرب، والذي كان بعد فشلها في تحقيق أهدافها بالمشرق الإسلامي.

كانت بلاد المغرب إحدى المناطق التي جلبت انتباه أئمة المذهب الإباضي في البصرة<sup>(63)</sup> وتذكر المصادر أن أئمة المذهب كانوا على دراية واسعة بتدمير البربر من عمال بني أمية، من هنا أرسلوا دعايتهم إلى هذه المنطقة لإثارتهم وبث مبادئهم وتعاليمهم الدينية حيث كان أول ظهور للإباضية بالمغرب الإسلامي بجبل نفوسة، ويذكر ابن حوقل في حديثه عن الجبل "والجبل بأجمعه دار هجرتهم على قديم الأيام لهم، وبه معشر الإباضية والوهبية بعد عبد الله بن أباض وعبد الله بن وهب الراسبي لأئمتما قدماه وماتا به، ولم يدخل أهل هذا الجبل في عهد الإسلام إلى سلطان، ولا سكنه غير الخوارج منذ أول الإسلام، بل منذ عهد علي رضي الله عنه وقت انصرافهم عنه بمن سلم منهم من أهل النهروان، وقد أقام من خلفهم على منهاج سلفهم به، وبما قاربه من مدن الخوارج"<sup>(64)</sup>.

يبدو في هذه الرواية شكوك ذلك أنه اغلب الظن أن عبد الله بن وهب الراسبي<sup>(65)</sup> قتل في معركة النهروان ولا يستبعد أن يكون بعض ممن فروا من هذه المعركة قد التجنوا إلى جبل نفوسة لكنهم لم يتركوا أثرا واضحا، ثم أن الانتشار الحقيقي للمذهب الإباضي يعود إلى أواخر القرن الأول وأوائل الثاني للهجرة<sup>(66)</sup>.

لقد اكتملت صورة المذهب الإباضي على يد "أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة"<sup>(67)</sup>، المتوفى في خلافة "أبي جعفر المنصور" وإليه انتهت رئاسة الإباضية بعد موت "جابر بن زيد" وإشارته أسس الإباضية في كل من المغرب وحضرموت دولا مستقلة وتخرج على يديه رجال الفكر والدين من مختلف الدول الإسلامية آنذاك عرفوا "بحملة العلم"<sup>(68)</sup>.

كما اعتنق المذهب الإباضي قبائل عدة في بلاد المغرب منها نفوسة وهوارة ولماية وزناتة وسدراتة وزواغة ولواتة ونفزاوة ومغيلة<sup>(69)</sup>، وبما أن البربر كانوا ساخطين على الحكم العربي فقد رحبوا بالدعاة وحموهم وسهلوا مهمتهم، فكثرت وفودهم وركزوا دعوتهم في منطقة طرابلس وجبل نفوسة والمغرب الأقصى لبعد هذه المناطق عن القيروان من جهة ومن جهة أخرى لأن إقليم طنجة ونواحي السوس الأقصى كانت مواطن ثلاثة من أكبر القبائل الزناتية

والأكثر استعدادا للثورة وهي غمارة وبرغواطية ومكناسة، وانضمت إليها أعداد من صنهاجة<sup>(70)</sup>.

لقد رأينا من قبل أن أول ثورة خارجية في المغرب كانت صفرية (ميسرة المطغري) أي صفرية المذهب والتي اندلعت في طنجة وامتد لهيبها.

أما الإباضية فقد تأخرت ثورتهم إذا ما قورنت بثورات الصفرية لأن من جهة كانت الإباضية قريبة من القيروان (دار الإمارة) ومركز الجند العربي، وقرية نسيبا من مصر.

ومن جهة ثانية فإن نجاح الصفرية حفز الإباضية على الظهور من هنا تزعم التجمع الإباضي في منطقة طرابلس "عبد الله بن مسعود التجيبي" والذي اعتمد على قبيلة هواارة التي كانت تسيطر على سبخة تاورغا (قرب طرابلس)، لكن إلياس بن حبيب عامل طرابلس استطاع قتله وإخماد ثورته.

يذكر الزاوي أن هذا العمل من قبل إلياس لم يقع موقع الرضا من أخيه عبد الرحمن<sup>(71)</sup>، ويظهر جليا من هذا القول أنه رغم خروج عبد الله بن مسعود التجيبي إلا أن قتله لم يعجب الوالي.

ثم قامت ثورة أخرى بطرابلس قادها رجлан الأول يدعى "عبد الجبار بن قيس المرادي" والآخر "الحارث بن تليد الحضرمي" من قبيلة هواارة، وهما على الإباضية، وكان خروجهما انتقاما لمقتل عبد الله بن مسعود التجيبي، حيث استطاعت الإباضية قتل عامل طرابلس (بكر بن عيسى القيسي)، عندما خرج يدعوهم للسلم، لكن عبد الرحمن بن حبيب زحف عليهما، مع تغيير سياسة القتال بالتجائه إلى الحيلة للتخلص منهما، فأثر الشقاق والخلاف بين الإباضية عندما أوعز إلى شخصين مهمة قتل عبد الجبار والحارث، وعندما تمكن من ذلك جعل مقبضي سيفهما متقابلين، وكان عبد الجبار والحارث تقاتلا<sup>(72)</sup>، وبذلك قضى على ثورتهم. وأقاما بطرابلس سنة 132هـ.

لكن إباضية طرابلس اختاروا إماما جديدا هو "إسماعيل بن زياد النفوسي" ولقب بـ (إمام دفاع) من قبيلة "نفوسة" والذي علا شأنه وكثر أتباعه حتى نجح في الاستيلاء على مدينة قابس سنة 132هـ فخرج إليه عبد الرحمن بن حبيب وقدم ابن عمه "شعيب بن عثمان" للمعركة فانتصر هذا الأخير وقتل إسماعيل بن زياد إمام الإباضية بطرابلس، ثم استعمل عبد الرحمن على طرابلس "عمرو بن سويد المرادي" وأمره أن ينفل البربر و يقوم بتوزيع المغنم التي غنمها من

الإباضية على جنده، وأعاد بناء سور المدينة لتحصينها من خطر الإباضية<sup>(73)</sup>، ثم عاد بعدها إلى القيروان بعد أن حقق أهدافه.

الزراع الإباضي الصفري على السيادة: سقطت الدولة الأموية سنة 132هـ ما انعكس على بلاد المغرب، إذ قام إلياس مع أخيه عبد الوارث وتآمرا على أخيهما عبد الرحمن فقتلاه، ما أدى بحبيب بن عبد الرحمن للانتقام لوالده وقتل إلياس فلجأ عبد الوارث إلى بطن من بطون البربر وهم قبيلة ورفجومة<sup>(74)</sup>، وعليهم أمير يدعى "عاصم بن جميل" من نفزة الذي ناصر عبد الوارث، وانتصر على حبيب ودخل بقبيلته ورفجومة القيروان؛ "فاستحلوا المحارم وارتكبوا الكبائر"....، كما دخلت قبائل من الصفرية بعد مقتل حبيب بن عبد الرحمن وعاصم بن جميل إلى القيروان، وربطوا دوابهم في المسجد الجامع، وقتلوا كل من كان من قريش وعذبوا أهلها، وأسأت ورفجومة لأهل القيروان سوء العذاب وندم الذين استدعوههم أشد ندامة<sup>(75)</sup>. بعد مقتل حبيب بن عبد الرحمن بن حبيب تمت سيادة الصفرية على إفريقية والمغرب وفقد العرب سلطانهم في البلاد<sup>(76)</sup>.

ثورة وإمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمع المعافري<sup>(77)</sup>: بعودة "حملة معلم" إلى المغرب استقروا بطرابلس ونشطوا حركة الدعوة بها، كما عملوا برأي إمامهم أبو عبيدة بالبصرة، فعقدوا الإمامة لأبي الخطاب، وأعلنوا الظهور واستولوا على طرابلس، وطرّدوا منها عامل العباسيين عمرو بن سويد المرادي الذي سلّم لأبي الخطاب مفاتيح بيت المال<sup>(78)</sup>؛ فاتخذ الإباضية طرابلس عاصمة لإمامتهم وشرعوا في تعيين العمال على النواحي.

في هذه الأثناء كانت قبيلة ورفجومة قد استولت على القيروان واتفق أن رجلا من الإباضية دخل القيروان لحاجة، فرأى نفرا من الورفجوميين قد اخذوا امرأة قهرا والناس ينظرون فادخلوها الجامع<sup>(79)</sup>، فعاد الإباضي إلى طرابلس يستنجد بأبي الخطاب الذي جهز جيشا من هواره ونفوسة وزناتة وزحف على القيروان وتقاتل مع ورفجومة إلى أن قتل واليها "عبد الملك بن أبي الجعد" الذي خذله أهلها وذلك في صفر إحدى وأربعين ومائة، فكان تغلب ورفجومة على القيروان سنة وشهرين<sup>(80)</sup>، فعين أبو الخطاب "عبد الرحمن بن رستم" على القيروان وعاد إلى طرابلس، فأصبحت إمارته تمتد من خليج سرت إلى قابس، ومن البحر إلى الصحراء وبقي على إمارته إلى أن بعث "أبو جعفر المنصور" واليه على مصر" محمد بن الأشعث "سنة أربع وأربعين ومائة<sup>(81)</sup>.

تذكر المصادر الإباضية رغبة إخوانهم في الإصلاح، وإن ثوراتهم هي وسيلة للإصلاح وليس للتخريب أو الاستيلاء على السلطة، فمثلاً عند دخول القيروان قام أبا الخطاب بمنع أصحابه من إفساد الزرع، فلما رأى الناس سلامة زرعهم تعجبوا من عدله وسيرته وطاعة أصحابه له فيما يأمرهم به من الحقوق<sup>(82)</sup>.

لكن إذا كانت المصادر الإباضية تؤكد سبب خروج الإباضية إلى القيروان لنصرة المرأة، فإننا لا نستبعد العامل الاقتصادي لأن في هذه السنة شهدت منطقة طرابلس قحطاً شديداً أرغم سكانها على أكل الجراد<sup>(83)</sup>.

لقد ظل العباسيون يتحينون الفرصة للقضاء على الإمارة الإباضية، فأمر أبو جعفر المنصور محمد بن الأشعث للقضاء على الإباضيين، هذا الأخير الذي جهز جيشاً أولى قيادته إلى "أبي الاحوص العجلي" سنة 142هـ (759م) فهزمه الإباضية بسرت، ثم أعاد الكرة محمد بن الأشعث لكن هذه المرة تحت قيادته، وانتهاز فرصة انقسام هوراة وزناتة على أبي الخطاب الذي استنفر قواته والتقى الجيشان قرب طرابلس بمكان يسمى "تاورغا" وانتهت المعركة بمقتل أبي الخطاب إمام الإباضية بالمغرب سنة 144هـ، وفر أصحابه إلى الجبال والمرتفعات بطرابلس وفر البقية إلى المغرب الأوسط<sup>(84)</sup> ومنهم عبد الرحمن بن رستم الذي حمل ولده وخرج من القيروان، ولحق بإباضية المغرب الأوسط؛ فزل عند قبيلة لماية لحلف قديم بينهم، إذ بايعوه فشرع في بناء مدينة تيهرت سنة 144هـ<sup>(85)</sup>.

بالقضاء على أبي الخطاب يكون سقوط أول إمارة إباضية بالمغرب الإسلامي، ويعلق عليها الأستاذ أحمد الطاهر الزاوي إذ يقول بأن الذي يعن النظر في حروب أبي الخطاب مع العباسيين يظهر له أنها حروب سياسية كان القصد منها توسيع النفوذ والاحتفاظ بالسلطة على أكبر عدد ممكن من الناس وعلى أوسع رقعة من الأرض<sup>(86)</sup>.

ويستنتج الدكتور لقبال في ظهور الحركات المذهبية بالمغرب، ويقول إنها انفعالا للمسلمين الجدد بمبادئ الإسلام وبآراء الفرق الإسلامية في المشرق، وهو دليل على خصوبة نصوص الإسلام وحيوية المسلمين واستعدادهم للتطور، ولئن أضعفت الأنظمة السياسية من جراء الفتن المذهبية، بالمقابل فإن الحضارة الإسلامية اغنت بإنتاج الفرق المختلفة<sup>(87)</sup>.

وعلى هذه الأرضية يلتقي المؤرخ الموضوعي مع أقوال البربر على أنفسهم بشأن اعتناقهم للإسلام الذي رأوا فيه تنويحاً لا تنكراً لماضيهم.

إن قدوم الفاتحين المسلمين لم يكن أبدا لغرض استراتيجي أو اقتصادي كما ذكره بعض المستشرقين، بل لزيادة دعائمهم الدينية وتقوية أنصارهم، وما كان من أمر الثورات والتمردات ليس رفضا للإسلام في حد ذاته، بل تمردا على سياسة بعض الولاة المستبدين اتجاه البربر، وهذا ما جعل هؤلاء البربر يصححون الأوضاع بأن قالوا "السلاح لمن تعسف والمسالمة لمن سالم".

من هنا جاء الإسلام ليبنى المجتمع على ركائز المسؤولية الدينية التي لا تتم إلا في نطاق الحرية والاختيار الذاتي، وافرد للأديان السماوية الأخرى مكانتها وحرر المعتقد وأكد أنه "لا إكراه في الدين" إلا أن بعض المستشرقين أساءوا فهم الذمة فأولوها بإدراجها في نظرياتهم الهدامة.

من هنا كان لزاما علينا بأن نقوم بعملية مراجعة طويلة النفس لننصف حضارتنا وديننا من تشويه هؤلاء المغرضين، وهو ما يتطلب منا نقدا علميا لمناهج بعض المستشرقين وتفكيكا لطرق تحليلهم وكشف القناع عن أهدافهم، وثابت مواطن الخطأ في كتبهم بالأدلة والحجج، وتنفيذ آرائهم وخاصة استنتاجاتهم.

#### الهوامش:

- 1- ذكر ابن حزم أنهم من بقايا ولد حام بن نوح- عليه السلام- وادعت طوائف منهم إلى اليمين إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان، وهذا باطل لاشك فيه، وما علم النسابون لقيس عيلان إنا اسمه بر أصلا، ولا كان خمير طريق إلى بلاد البربر إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن.... فولد بر مادغيس وبرنس؛ فولد برنس كرامة وصنهاجة وعجيسة ومصمودة وأزيرة وأزداجة وأوريج... ولكل هؤلاء بطون عظيمة جدا... وولد مادغيس: زجيك؛ فولد زجيك ضري ولوا الأكبر ونفوس وأداس.... أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جبهة أنساب العرب، مراجعة عبد النعم خليل إبراهيم (ط4)، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007، ص496-495، وعن البربر انظر عبد الرحمن ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006، ج6، ص109 وما بعدها.
- 2- إفريقية، بكسر الهمزة، وهو اسم لبلاد واسعة، وهي مملكة كبيرة، قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، وسميت بلاد إفريقية وما ورائها بلاد المغرب لأنها فرقت بين مصر والمغرب، وحدها من إطرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بحاية وقيل إلى مليانة، فتكون مسافة طولها شهرين ونصف، ياقوت الحموي (الغدادي)، معجم البلدان (ط4)، بيروت: دار صادر، 1995م، ج1، ص228.
- 3- الأندلس: يطلق المؤرخون والجغرافيون العرب كلمة الأندلس على شبه الجزيرة الإيبيرية المتكونة من إسبانيا والبرتغال، وقال بعضهم: اسمها إشبارية من إشبارس وهو الكوكب المعروف بالأهر، وسميت بعدها بالأندلس من أسماء الأنداليس من الذين سكنوها وهم الوندال، وهو مأخوذ من كلمة فاندالوشيا أي بلد الوندال، وذكرها الحموي بضم الدال وفتحها، وهي كلمة عجمية لم تستعملها العرب في القديم وإنما عرفتها في الإسلام، الحموي، المصدر السابق، ص262.
- 4- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب (ط2)، الدار البيضاء- المغرب: المركز الثقافي العربي، 2009، ج1، ص121.
- 5- هشام جعيط، تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني الهجري/السابع والثامن (ط2)، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2008، ص13.
- 6- العروي، المرجع السابق، ص270.
- 7- ابن خلدون، المصدر السابق، ص119.
- 8- سميت مصر بمصر بن مصرام بن حام بن نوح عليه السلام، وهي من فصح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب (الحموي)، المصدر السابق، ج5، ص137.
- 9- الطاهر أحمد الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا (ط4)، بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004، ص84.
- 10- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (ط2)، بيروت: دار الثقافة، 1400هـ-1980م، ج1، ص14.

- 11- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، (ط1؛ بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992) ج 1 ص 45.
- 12- صيراته: مدينة علي بعد حوالي 80 كلم إلى الغرب من مدينة طرابلس الغرب .
- 13- جرور: مدينة تقع إلى الغرب من طرابلس على بعد 15 كلم تقريبا.
- 14- بشر رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي (ط1؛ بيروت: دار المدار الإسلامي، 2003) ص 61.
- 15- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الإسلامي (بيروت: دار النهضة العربية، 1981) ج 2 ص 176-177.
- 16- وهو عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن طرف بن الحارث بن فهر، وقيل أنه ولد قبل وفاة "الرسول صلى الله عليه وسلم" بسنة واحدة، ابن عذاري، المصدر السابق ص 19.
- 17- نفسه، ص 19.
- 18- القيروان أو تيكروان: كلمة فارسية الأصل، معناها مكان تجمع الجيش، وهي بالمغرب الأدنى أو تونس الحالية، تبعد عن العاصمة تونس إلى الجنوب بنحو 157 كلم.
- 19- موسى لقبال، تاريخ المغرب الإسلامي، دار هومة للطباعة والنشر- الجزائر- (2005)، ص 40.
- 20- عبد الرحمن بن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس، تح أنيس الطباع (بيروت - لبنان: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1994)، ص 198.
- 21- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 26-27.
- 22- نفسه، ص 26، أنظر كذلك عبد العزيز سالم، المرجع السابق ص 224-225.
- 23- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص 27.
- 24- حمودة :وهي تسمى اليوم "بلدية سيدي عقبة" بولاية بسكرة، وهو إسم لقبيلة من البربر، أنظر الحموي، المصدر السابق ج 2، ص 75.
- 25- سالم، المرجع السابق، ص 228.
- 26- نفسه، ص 231.
- 27- لقبال، المرجع السابق، ص 57.
- 28- اسماعيل بن كثير، البداية والنهاية (ط1؛ القاهرة: مكتبة الصفا، 2003) ج 9، ص 35.
- 29- ممس تقع جنوب القيروان والأريس (تيسة)، أما قمة ممس فتقع من هضبة تتصل من جبال الأوراس، كما تقع على ماء، سالم، المرجع السابق، ص 336.
- 30- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 34، مع العلم أن كثير من المؤرخين يذكرون سنة 74هـ.
- 31- الكاهنة: وهي ذهيا بنت ماتية، ملكة جبال أوراس، وقومها من جراوة ملوك البر، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 182، وذكر ابن الأثير "كانت امرأة تملك البربر تعرف بالكاهنة، وكانت تحوهم بأشياء من الغيب، ولهذا سميت الكاهنة"، ابن الأثير، المصدر السابق ج 4، ص 32.
- 32- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 35.
- 33- مؤنس، المرجع السابق، ص 101.
- 34- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 36.
- 35- وهي طريقة بربرية أين يمزج فيها الدقيق بالزيت، ويوضع على ثدي المرأة، ومنه يأكل الأبناء ليصبحوا إخوة.
- 36- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 36، أنظر كذلك ابن الأثير، المصدر السابق ج 4، ص 32، وأرجع إلى ابن خلدون، المصدر السابق، ص 128.
- 37- سالم المرجع السابق، ص 268.
- 38- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 38.
- 39- نفسه، ص 38.
- 40- لقبال، المرجع السابق، ص 77.
- 41- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص 182.

- 42- ابن الأثير، المصدر السابق، ص 48.
- 43- جعيط، المرجع السابق، ص 67.
- 44- هو "مولى بني سلول"، وكان رئيسا سليلا وأميرا جليلا، بارعا في الفصاحة والخطابة، حافظا لأيام العرب وأشعارها ووقائعها... قدم إفريقية ربيع الآخر سنة 116هـ، وهو الذي بنى المسجد الجامع ودار الصناعة بتونس، ابن عذاري، المصدر السابق، ص 51.
- 45- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 240.
- 46- مؤنس، المرجع السابق، ص 150-151.
- 47- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 52، وانظر كذلك مؤنس، المرجع السابق، ص 150-151، وارجع إلى سالم، المرجع السابق، ص 300-301، لقبال، المرجع السابق، ص 123.
- 48- وهم العرب الأوائل من الفتح من أبناء عقبة وأبي المهاجر وابن نصير.
- 49- الزاوي، المرجع السابق، ص 125.
- 50- سالم، المرجع السابق، ص 301.
- 51- العروي، المرجع السابق، ص 145.
- 52- نفسه، ص 139.
- 53- محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي (د. ط؛ الرغبة- الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1985)، ص 50.
- 54- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 57.
- 55- نفسه، ص 55، انظر كذلك سالم، المرجع السابق، ص 311، وارجع إلى بن عميرة، المرجع السابق، ص 74.
- 56- العروي، المرجع السابق، ص 142-143.
- 57- شهاب الدين التويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسن نصار (د ت؛ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة والهيئة المصرية العامة، 1983)، ج 24، ص 63.
- 58- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 58.
- 59- التويري، المصدر السابق، ص 63.
- 60- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 59.
- 61- مؤنس، المرجع السابق، ص 155-156.
- 62- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل (ط 2؛ بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1975، ج 1، ص 180-181).
- 63- نشأ المذهب الإباضي، وترعرع في البصرة بالعراق، ومنها انتشر إلى مختلف أصقاع الأرض.
- 64- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 93.
- 65- شخصية معروفة في التاريخ الإسلامي عرف بالزهد والعبادة حتى لقب "بذي الثغفات"، اختير إماما لأهل النهروان بعد خروجهم على علي، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص، وكان أحد الذين حضروا التحكيم، وقتل في معركة النهروان 38هـ، أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، د. ت؛ ولا مكان النشر، ج 2، ص 201-202.
- 66- إسماعيل محمود عبد الرازق، الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت: دار العودة، 1976، ص 36.
- 67- كبير تلاميذ جابر، تعلم العلوم وعلمها، حافظ على خفية الدين حتى ظهر على يد الخمسة الميامين، لمزيد من التفصيل أرجع إلى الدرجيني، المصدر السابق، ص 238.
- 68- بكر بن سعيد أعوش، دراسات اسلامية في الأصول الإباضية (ط 1؛ قسنطينة- الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر، 1982)، ص 21.
- 69- إبراهيم بكر بحاز، الدولة الرسمية (296.160هـ) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط 1؛ الجزائر: مطبعة لافوميك، 1985، ص 63.
- 70- حسين مؤنس، فجر الإسلام، ط 1؛ دار العصر الحديث، 2002، ص 164.
- 71- الزاوي، المرجع السابق، ص 135.
- 72- الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 24، وانظر كذلك ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص 279.

- 73- عبد الرازق، المرجع السابق، ص 84.
- 74- من قبائل البربر المشهورة، وهي "على مذهب الصفرية الذين يستحلون من أهل السنة ما حرم الله" الزاوي، المرجع السابق، ص 84.
- 75- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 70، أنظر كذلك ابن الأثير، المصدر السابق، ص 280، سالم، المرجع السابق، ص 338.
- 76- النويري، المصدر السابق، ص 71.
- 77- هو عبد الأعلى أبو الخطاب بن عبد الرحمن بن السمع {بن عبيد بن حرملة} المعافري اليمني من رجالات العرب المشهورين، وكان إباضي المذهب، ومن أجل ذلك اتف حول له البربر الإباضية الذين جمعهم به نخلة المذهب، وانضوا تحت رايته، وكان من أكبر أصحابهم وأشدّهم تمسكا بمذهبه... وكان أشد خصوم سياسة العرب الإفريقية، وقاتلهم انتصارا لبني مذهبه، وقد اخلص للبربر إخلاصا جعله منهم في محل التقدير والإعجاب، واختاروه إماما لهم سنة 140هـ، الزاوي، المرجع السابق، ص 139.
- 78- الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 24.
- 79- ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص 291، أراجع إلى سالم، المرجع السابق، ص 340.
- 80- ابن عذاري، المصدر السابق، ص 71.
- 81- النويري، المصدر السابق، ص 73.
- 82- يحيى بن أبي بكر أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، تح: اسماعيل العربي (ط 2) بيروت - لبنان: دار الغرب الإسلامي، (1982)، ص 40.
- 83- أحمد بن سعيد الشماخي، كتاب السير، تحقيق أحمد بن سعود السبائي (وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان (1992)، ج 1، ص 127.
- 84- علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج 2، ص 42.
- 85- سالم، المرجع السابق، ص 344، 345.
- 86- الزاوي، المرجع السابق، ص 141.
- 87- لقبال، المرجع السابق، ص 204.